

سلسلة الرسائل البازية (١١)

اعبدوا الله واجتنبوا

الطاغوت

سماحة الإمام

عبد العزيز بن عبد الله بن باز (رحمه الله)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سلسلة الرسائل البازية (١١)

اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت

بيان توحيد المرسلين

لسماحة الشيخ

عبدالعزیز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ اللهُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

دار الأمل للطباعة والنشر

المملكة العربية السعودية - ص.ب ٦٤٣٧٧ الرياض ١١٣٥٦

هاتف ٤٢٨٥٣٩٠ فاكس ٢٦٧٢٥٥٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى جميع النبيين والمرسلين، وسائر الصالحين. . أما بعد:

فإن الله سبحانه وتعالى بَعَثَ رسله الكرام مُعَرِّفِينَ به، ودُّعَاةً إلى توحيدِهِ، وإِخْلَاصِ العِبَادَةِ لَهُ، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَعْشَنَّا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

فأبان الله سبحانه في هذه الآية الكريمة، أنه بعث في كل أمة من الناس رسولا يدعوهم إلى أن يعبدوا الله وحده، ويجتنبوا عبادة الطاغوت.

والعبادة هي التوحيد؛ لأن الخصومة بين الرُّسل وأُمَّمِهِمْ في ذلك، لأن المشركين يعبدون الله سبحانه ويعبدون معه غيره، فبعث الله الرُّسل تأمرهم بعبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي ﴿٢٧﴾﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧] الآية.

أخبر سبحانه عن خليله إبراهيم أنه تبرأ من معبودات قومه، إلا الله وحده، وهو معنى قوله: ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾،

فدلّ ذلك على أنهم يعبدون الله، ويعبدون غيره، فلهذا تبرأ من معبوداتهم كلها سوى الذي فطره، وهو الله وحده، فإنه سبحانه هو المستحق للعبادة لكونه خالق الجميع ورازقهم.

ومعنى ﴿فَطَرَنِي﴾ أي خلقتني على غير مثال سبق، ومن كان بهذه المثابة فهو المستحق أن يُعبد دون كل ما سواه، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، فبيّن عزّ وجل أنه أوحى إلى جميع الرُّسل قبل خاتمهم نبينا محمد ﷺ أنه لا إله غيره، يستحق العبادة، وأنه أمرهم بعبادته وحده.

فدلّ ذلك على أن جميع الآلهة المعبودة من دونه من أنبياء وأولياء وأصنام وأشجار وجن وملائكة وغير ذلك كلها معبودة بالباطل.

ومما يوضح هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [الحج: ٦٢]،

وقوله عز وجل عن المشركين لما دعاهم نبينا محمد ﷺ إلى أن يقولوا لا إله إلا الله، أنهم قالوا: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات: ٣٥، ٣٦]، فدلّ ذلك على أنهم لشاعريّ مجنونٍ ﴿٣٦﴾ [الصافات: ٣٥، ٣٦]، فدلّ ذلك على أنهم

عرفوا أن كلمة التوحيد وهي لا إله إلا الله تبطل ما هم عليه من الشرك وتدل على أن آلهتهم باطلة. فعلم بذلك أن لا إله إلا الله تقتضي إخلاص العبادة لله وحده، وتدل على أنه سبحانه المعبود بالحق، ولولا ذلك لم يستكبروا عن قولها، ولم يقولوا إنها تقتضي إبطال الآلهة جميعها . .

وهذا مما خفي على أكثر الخلق، حتى ظنوا أن مَنْ قال لا إله إلا الله فهو مسلم معصوم الدم والمال، ولو صرف الكثير من العبادة لغير الله، كالدعاء والخوف والرجاء والتوكل والذبح والنذر وغير ذلك. وهذا هو الواقع من عبادة القبور، فإنهم يقولون لا إله إلا الله، وهم مع ذلك يلجأون إلى أصحاب القبور ممن يسمونهم بالأولياء، فيسألونهم قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، والنصر على الأعداء، تارة عند قبورهم، وتارة مع البعد عنهم.

وقد يفعلون ذلك مع نبينا محمد ﷺ، ومع غيره من الأنبياء، وقد يلجأون في حاجاتهم إلى الجن فيستغيثون بهم، ويذبحون لهم، يرجون نفعهم والشفاء لمرضاهم، والدفاع عن أنفسهم وزروعهم وغير ذلك.

وكل هذه الأمور معلومة مشهورة، لا تخفى على مَنْ اتصل بعبادة القبور، ورأى ما هم عليه من الشرك الصريح،

والكفر البواح. فأرسل الله الرُّسل جميعهم، تنكر هذا الشرك، وتحذر منه، وتدعو إلى عبادة الله وحده، كما سبق ذلك في الآيات الكريمات.

وقد أمرهم الله سبحانه وتعالى، أن يُعَرِّفُوا النَّاسَ بِرَبِّهِمْ وَخَالِقِهِمْ وَرَازِقِهِمْ، وَأَنْ يَذْكُرُوا لَهُمْ أَسْمَاءَهُ الْحَسَنَى، وَصِفَاتِهِ الْعُلَى، الدالة على كمال عظمته وقدرته، وعلمه وإحسانه إلى عباده ورحمته إياهم، وأنه سبحانه هو النافع الضار، المدبر لجميع شؤون خلقه، الخبير بأحوالهم، فلا يليق أن يعبدوا غيره، أو يسألوا حاجاتهم من سواه، لأنه سبحانه هو القادر على كل شيء المحيط علمه بكل شيء، وما سواه فقير إليه، كما قال عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ [الذاريات: ٥٦ - ٥٨]، وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٢١) ﴿[البقرة: ٢١]، إلى قوله سبحانه: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢٢) ﴿[البقرة: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (١٥) ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (١٦) ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ (١٧) ﴿[فاطر: ١٥ - ١٧]، وأخبر عن المرسلين عليهم

الصلاة والسلام أنهم بلغوا أممهم عظمة الله سبحانه، وقدرته على كل شيء، وعلمه بكل شيء، وأنه سبحانه هو الذي يسمع الدعاء، ويجيب المضطر، وأنه النافع الضار، وأن يخبروهم عن معبوداتهم أنها لا تنفع ولا تضر، ولا تسمع دعاء الداعي ولا تجيبه، كما أخبروهم عن أصنامهم أنها لا تكلمهم، ولا تهديهم سبيلاً، ولا تملك لهم ضرراً ولا نفعاً، وكل ذلك مما يوجب إخلاصهم لله في العبادة، وتوبتهم إليه، وطلب حاجاتهم منه، وتصديق أنبيائه والتزام شريعته، كما قال تعالى عن نوح عليه الصلاة والسلام إنه قال لقومه: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٠-١٢].

وقال عن هود عليه الصلاة والسلام إنه قال لقومه: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَانْقُوا لِلَّهِ وَأَطِيعُوا ﴿١٣١﴾ وَأَنْقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنْ أَحَافَ عَلَيْكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾﴾ [الشعراء: ١٢٨-١٣٥].

وقال عن نبيه صالح عليه الصلاة والسلام إنه قال لقومه: ﴿أَتَرْكُونَ فِي مَا هَلْهِنَا ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ

وَنَحَلْ طَلْعَهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنجِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ يُونَا فَرهَيْنَ ﴿١٤٩﴾
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي
الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ [الشعراء: ١٤٦-١٥٢]. الآيات .

وقال عن خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَأَقْلَ عَلَيْهِمْ نَبَأَ
إِبْرَاهِيمَ ﴿١٤٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا
فَنَنْظِلُ لَهَا عَظْمِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ
يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ [الشعراء: ٦٩ -
٧٤]، إلى قوله: ﴿ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ [الشعراء: ٨٩].

وقال في قصة بني إسرائيل وعبادتهم العجول: ﴿ وَأَخَذَ
قَوْمٌ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُلُوتِهِمْ عَجَلًا جَسَدًا لَّهُ خَوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا
يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ﴿١٤٨﴾ [الأعراف: ١٤٨] الآيات . وقال في
سورة طه في القصة نفسها: ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا
يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ [طه: ٨٩]. والمعنى: أين ذهبت
عقول هؤلاء حتى عبدوا صورة عجل، لا يرد إليهم قولاً،
ولا يملك لهم ضرراً ولا نفعاً، ولا يكلمهم ولا يهديهم
سبيلاً. فعلم بذلك أن الله سبحانه هو الضار النافع الذي
يسمع الدعاء، ويجب المصطر إذا دعاه، ويتكلم إذا شاء،
وأن هذه الصفات من صفات الكمال التي يجب أن يكون
المعبود بحق، موصوفاً بها، بخلاف الأصنام ونحوها،

فإنها لا تسمع ولا تنفع ولا تضر ولا تجيب مَنْ دعاها، ولا ترجع إليه قولاً، ولا تهديه سبيلاً.

فكيف يجوز أن تعبد مع الملك الحق السميع المجيب، النافع الضار، العالم بكل شيء، والقادر على كل شيء لا إله غيره، ولا رب سواه.

والآيات في هذا المعنى كثيرة، وكلها ترشد إلى أن الله سبحانه موصوف بصفات الكمال، منزّه عن صفات النقص والعيب، وذلك مما يوجب توحيده وإخلاص العبادة له سبحانه وتوجيه القلوب إليه، والتوكل عليه في جميع الأمور دون كل ما سواه، لكونه الخلاق الرزاق المالك لكل شيء، المدبّر لجميع الأمور، فلا يجوز أن يعبد معه غيره.

وقد أخبر الله سبحانه عن أنبيائه: نوح وهود، وصالح وشعيب، أنهم قالوا لقومهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ﴾ [هود: ٥٠]، كما أخبر عن جميع المرسلين أنهم قالوا لأممهم ذلك كما سبقت الآيات في ذلك.

وقال تعالى: ﴿وَأَبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٦]،

وقال تعالى في سورة الصافات: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾ [٨٣] إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ [٨٤] إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا

تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَيْفَا ءِالِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ
 الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ [الصفات: ٨٣، ٨٧]، وقال سبحانه في سورة مريم
 عن إبراهيم الخليل نفسه عليه الصلاة والسلام: ﴿وَأَذْكُرُ فِي
 الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا
 يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ
 الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ
 الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ
 يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ
 عَنْ ءِالِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ لِأَرْجَمَنَّكَ وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ
 سَلِّمْ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُّكُمْ
 وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي
 شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا أَعْتَزَلْتَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ
 وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ
 صِدْقٍ عَلِيمًا ﴿٥٠﴾ [مريم: ٤١ - ٥٠].

وقال سبحانه في سورة الأعراف عن قوم هود، إنهم قالوا
 لهود عليه السلام: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحَدُّهُ وَنَذَرًا مَا كَانَ
 يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأِنَّا بِمَا تَعْبُدُونَ إِن كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿٧٠﴾
 [الأعراف: ٧٠]، وقال في سورة يونس عن مشركي العرب،
 الذين بعث إليهم نبينا محمد ﷺ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعْنَا عِنْدَ اللَّهِ،
 فرد الله جل وعلا عليهم بقوله: ﴿قُلْ أَتَنْتَبِهُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ
 فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨]،
 وقال في سورة الزمر: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ
 الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [١] إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ
 مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ
 دُونِهِ أَولِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ
 بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ
 كَفَّارٌ ﴿٣﴾ [الزمر: ١-٣].

فأوضح سبحانه في هذه الآيات أن المشركين الذين بعث
 فيهم محمد ﷺ، لم يعبدوا الأصنام والأوثان والأنبياء
 والصالحين وغيرهم؛ لأنهم يضررون وينفعون، أو يخلقون
 أو يرزقون، وإنما عبدوهم يرجون شفاعتهم عند الله،
 وتقريبهم لديه زلفى، فحكم عليهم سبحانه وتعالى بعملهم
 هذا: أنهم كفار مشركون.

وفي هذا المعنى يقول تبارك وتعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ
 رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ
 قِطْمِيرٍ﴾ [١٧] إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا
 لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٨﴾

[فاطر: ١٣، ١٤]، فأخبر سبحانه في هذه الآية: أن الملك لله وحده، وأنه المتصرف في جميع خلقه، وأن جميع معبودات المشركين من دون الله من جن وإنس وشجر وحجر وغير ذلك، كلهم لا يملكون من قطمير، وهو القشرة التي على نواة التمر، وأنهم لا يسمعون دعاء الداعي، وأنهم لو سمعوا ما استجابوا لأنهم ما بين ميت وغائب، أو جماد لا يفعل شيئاً، وأوضح سبحانه أن معبوديهم من دون الله، يكفرون بشركهم يوم القيامة، وينكرونه، فدل ذلك على أن تعلقهم بهم، ودعاءهم إياهم شرك بالله سبحانه وتعالى، كما قال عز وجل: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَائِكُمْ فزِيلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَائِهِمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾ [يونس: ٢٨، ٢٩]، وقال عز وجل: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حِشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ [الأحقاف: ٥، ٦]، فأبان سبحانه في هذه الآيات أن جميع المعبودين دون الله، يتبرؤون من عابديهم يوم القيامة، ويكفرون بعبادتهم، ويخبرونهم أنهم كانوا عنها غافلين.

فما أعظم حسرة أولئك المشركين، وما أعظم خسارتهم يوم القيامة، حيث باؤوا بالخيبة والندامة، واستحقوا غضب الجبار ونقمته بكفرهم به وعبادتهم معه مَنْ لا يضر ولا ينفع، ولا يُغني عنهم شيئاً، وقال عز وجل: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

والآيات في بيان بطلان الشرك، وسوء عاقبة أهله وعظم خسارتهم يوم القيامة في كتاب الله كثيرة. وهكذا جاء في السُّنَّة الصحيحة عن رسول الله ﷺ ما يبين ضلال المشركين، وسوء عاقبتهم، وعظم خسارتهم، وأنهم لم يشركوا في توحيد الربوبية، بل هم يعلمون أن الله هو الخالق الرازق، مدبر أمورهم، وإنما أشركوا في عبادتهم مع الله غيره بالدعاء والخوف والرجاء، والنفع والضرر، والذبح والنذر، وغير ذلك من أنواع العبادة كما ثبت في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال لمعاذ لما بعثه إلى اليمن: «إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله»، وفي رواية: «فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله» - وفي رواية للبخاري رَحِمَهُ اللهُ - «فادعهم إلى أن يوحدوا الله». وفي

صحيح مسلم عن سعيد بن طارق الأشجعي عن أبيه رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَرَّمَ اللَّهُ مَالَهُ وَدَمَهُ وَحَسَابَهُ عَلَى اللَّهِ». وفي رواية لمسلم بلفظ: «مَنْ وَحَّدَ اللَّهَ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ. . .» الحديث.

وهذان الحديثان صريحان في وجوب توحيد الله سبحانه، وإخلاص العبادة له، والكفر بما يعبد من دونه.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال لجبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا سَأَلَهُ عَنِ الْإِسْلَامِ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا تَشْرِكَ بِهِ شَيْئاً، وَتَقِيمَ الصَّلَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتُؤَدِيَ الزَّكَاةَ الْمَكْتُوبَةَ. . .» الحديث.

وفي صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: عَلَى أَنْ يُوحَدَ اللَّهُ، وَإِقَامَ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ، وَصَوْمَ رَمَضَانَ، وَحَجَّ الْبَيْتِ» وفي رواية أخرى له: «عَلَى أَنْ يَعْبُدَ اللَّهَ وَيَكْفُرَ بِمَا دُونَهُ. . .» الحديث. وأصله في الصحيحين مرفوعاً بلفظ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِقَامَ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ، وَصَوْمَ رَمَضَانَ، وَحَجَّ الْبَيْتِ».

وروى مسلم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حديث سؤال جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ عن الإسلام والإيمان والإحسان من حديث عمر رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال لجبريل لِمَا سَأَلَهُ عَنِ الْإِسْلَامِ: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً».

فدلَّت هذه الأحاديث، وما جاء في معناها على أن معنى شهادة أن لا إله إلا الله: هو توحيد الله وإخلاص العبادة له. والكفر بما يعبد من دونه.

وهذا المعنى هو حقيقة التوحيد الذي بعث الله به المرسلين، وأنزل به الكتب، وقام عليه سوق الجهاد، وانقسم الناس فيه إلى كافر ومؤمن، وشقي وسعيد.

فالواجب على كل مكلف، أن يحرص على أسباب النجاة، وأن يلتزم بتوحيد الله سبحانه ويخلص له العبادة جل وعلا، ويكفر بعبادة ما سواه، ويتبرأ منها، ويوالي على ذلك، ويعادي عليه، كما قال الله عز وجل: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ [المتحنة: ٤].

فهذا هو دين المرسلين جميعاً، وهو الدين الذي بعث الله به خاتمهم وأفضلهم نبينا محمد ﷺ.

فعلى كل مسلم أن يعضّ عليه بالنواجذ، وأن يستقيم عليه، وأن يدعو الناس إلى ذلك بكل صدق وإخلاص، وأن يصبر على ما أصابه في سبيل التمسك به، والدعوة إليه كما قال الله عز وجل لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥] الآية، وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧].

وقال سبحانه: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الإنسان: ٤٦]، وقال عز وجل: ﴿وَالْعَصْرُ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾ [سورة العصر]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

والله المستؤل أن يوفقنا وسائر المسلمين وجميع الدعاة إلى الحق لكل ما فيه رضاه وصلاح أمر عباده، وأن يوفق جميع ولاة أمر المسلمين لكل ما فيه صلاح شعوبهم وهدايتهم إلى صراطه المستقيم، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين.

